الجزء الأول

الحاجة للتفكير الإبداعي

obeikandl.com

obeikandl.com

القيمة المكتسبة

يتساءل المؤلف ما نوع الفائدة التي يأمل أن يجنيها القراء من خلال هذا الكتاب؟ وما هي القيم التي سيحصلون عليها؟ قد نستمتع بوقتنا عند قراءة أي كتاب، وقد نصادف بعض وجهات النظر الجديدة. كما قد يجد القارئ تأييدا لبعض الأفكار التي لديه في مجالات مختلفة.

هناك ثلاث مستويات مقصودة من القيم المكتسبة عند كتابة هذا الكتاب. وسواء تم تحقيق تلك الأهداف أم لا فهذا موضوع آخر.

المستويات الثلاث هي:

1. فهم طبيعة ومنطق الإبداع
2. الرغبة والنية للقيام بعمل إبداعي
3. أدوات خاصة، طرق وأساليب

فهم طبيعة ومنطق الإبداع

الإبداع موضوع شائك ومثير للجدل ويبدو أنه يتدرج من تطوير غطاء جديد لأنبوبة معجون الأسنان إلى تأليف السمفونية الخامسة لبيتهوفن. وتظهر كثير من الصعوبات نتيجة الالتباس بين كلمتي «المبدع» و«الإبداع».

تعني كلمة «المبدع» على أبسط المستويات هو الإتيان بعمل لم يكن له وجود قبل ذلك، على سبيل المثال، «خلق فوضى» يعتبر مثالا للإبداع. حيث لم تكن الفوضى موجودة وقد جئنا بها إلى حيز الوجود. ومن ثم

ننسب بعض القيم للنتيجة، وبالتالي فإن الشيء الجديد لابد أن يحمل قيمة ما. نكون قد بدأنا عند هذه النقطة في الحصول على إبداع فني لأن ما يقدمه الفنان هو شيء جديد ذو قيمة.

لدينا الاعتقاد الآن أن ما يقدمه المبدع يجب أن لا يكون «معروفا» أو «بسيطا». يجب أن يكون هناك أمرا مميزا أو نادرا. تناسب الحرف اليدوية غير العادية هذا الوصف.

عندما نبدأ بتقديم مفاهيم مثل «غير المتوقع» و«التغيير»، نكون قد بدأنا نأخذ وجهة نظر مختلفة للإبداع.

يأخذ بعض الفنانين نمطا إبداعيا معينا. فمثلا نجد أن لدى بعض الفنانين الأسلوب الحسي. والبعض لديهم الأسلوب التعبيري، وكل منهم يقدم قيمة عالية. وهم يعملون ضمن هذا الإطار. وحين لا يعتبر ما يقدم اليوم إعادة لما تم تقديمه بالأمس، فسوف يكون هناك شيئا جديدا وله قيمة عالية. وحين ذاك يمكن أن نطلق على هؤلاء الفنانين بالمبدعين. ولكن عنصر التغيير مفقود.

أعتقد أن كلمة «الإبداع» هكذا مجردة تغطي مساحة واسعة من المهارات المختلفة. وفي هذا الكتاب لم أتعمد الحديث عن الإبداع الفني. فقد علمت من قبل المؤلفين الموسيقيين، ومن قبل الشعراء والأدباء، وأصحاب موسيقى الروك أنهم يستعملون أساليبي في بعض الأحيان في طريقة التفكير الجانبي. وهذا شيء جميل أن أسمعه ولكني بالفعل لست أقصد تحسين مهارات الإبداع الفني على سبيل الحصر. فلدي اهتمام بشكل خاص بالمهارات الإبداعية اللازمة لتغيير المفاهيم والإدراك الحسي.

يمكن النظر إلى مسألة الإبداع على أنها أمر غامض. تظهر لدينا كثير من الأفكار البراقة الجديدة ولا ندري كيف ظهرت. يمكننا أن ندرس ونحلل سلوك الأشخاص المبدعين، ولكن هذا لن يوافينا بالكثير، لأن هؤلاء

الأشخاص أنفسهم لا يدركون ما الذي أوجد تلك الفكرة البراقة.

وأعتقد أنه من الأفضل النظر مباشرة لسلوك التنظيم الذاتي لأنظمة المعلومات. فهذه الأنظمة تحاكي أنظمة أخرى. فهم يستخدمون ويصنعون نماذج. ومن خلال تحليل السلوك والسلوك المتوقع في مثل تلك الأنظمة يمكننا الحصول على فكرة واضحة عن طبيعة الإبداع. وعندها ينكشف الستار عن الغموض الذي يحيط بالإبداع. ونرى كيف يعمل الإبداع. كما يمكننا أن نرى كيف يمكن أن نشتق أساليب معينة لنزيد من احتمالات الأفكار الجديدة. وبمعنى آخر نحن نعمل للنظر في «منطق» الإبداع. إن منطق الإبداع هو منطق محاكاة أنظمة، كما سنرى في فصل لاحق. وليس من المطلوب تحقيق ضربة حظ، أو قبول عفوي. وليس هناك صندوق أسود مكتنف بالأسرار مكتوب عليه «هنا يحدث كل شيء». إن معنى الإبداع (أو بشكل أكثر تخصصا، التفكير الجانبي) هو كشف الأمور.

يقول المؤلف أجريت حديثا قبل سنوات عديدة مضت إلى 1200 شخص من حاملي شهادة الدكتوراه يعملون في أهم ثلاث شركات في مينيوبوليس Minneapolis وأعتقد أنه زاد من حجم قسم الأبحاث لديهم. فبعد ثماني سنوات تقريبا أخبر أحد الباحثين صديقا لي أن ذلك اللقاء كان له تأثير كبير على تفكيرهم في البحث أكثر من أي شيء آخر قدم لهم. كان الحضور عبارة عن مجموعة من الفنيين: مهندسي إلكترونيات، فيزيائيين، علماء مواد، كيميائيين، وغيرهم. تعتقد مثل تلك الفئة من الناس أن الإبداع يقتصر على العاملين في مجال الإعلان، والتسويق، والتعبئة، والمصممين، ولا تظهر حاجته حيث توجد القوانين والمقاييس الفيزيائية التي تعمل على توجيه السلوك. ولو أمكن النظر إلى «منطق» الإبداع على أنه سلوك محاكاة أنظمة، فإن اتجاهاتهم سوف تتغير فورا.

تعتبر هذه نقطة مهمة جدا، لأن هناك كثير من الأشخاص الذين يرون

أهمية خلق أفكارا جديدة ولكنهم غير مستعدين لقبول الحاجة للإبداع إن بقيت تلك الحاجة بمستوى النصيحة. ولكن ما إن يرى مثل هؤلاء الناس الأهمية الفعلية المنطقية للإبداع . موضحة بأسلوب منطقي . فإن اتجاههم سوف يتغير برمته.

إن فهم منطق الإبداع فحسب لا يجعلك أكثر إبداعا. ولكن يجعلك واعيا لأهمية الإبداع. كما أنه يفسر تصميم تقنيات إبداعية معينة ويبين لماذا تعتبر الأساليب التي تبدو غير منطقية من الناحية الظاهرية منطقية تماما من خلال منطق محاكاة الأنظمة. وفوق كل ذلك، فإن فهم منطق الإبداع يشجع أي شخص لتقديم شيء يتعلق بالإبداع.

يشكو بعض الأشخاص من عدم اهتمامهم بمنطق الإبداع وليس لديهم الصبر للتعامل مع الأساليب العملية. ويعتبر هذا خطأ، لأنك لن تستعمل الأدوات بشكل فعال حتى تدرك خلفية تصميم تلك الأدوات. وإن هؤلاء المدربين الذين يتعاملون مع الأساليب الإبداعية على أنها باقة من الأساليب المنسقة يجب أن لا تصيبهم الدهشة عندما يجدوا تلاميذهم يميلون لاعتبار تلك الأساليب هي مجرد وسيلة للتحايل.

التركيـز والنية

يتعلق هذا المستوى الثاني من القيم المكتسبة بالدوافع. إنها إرادة شخص ما لضبط وتعديل البؤرة على نقطة معينة ومن ثم القيام ببعض التفكير الجانبي. ولا يحتاج الأمر عند تلك اللحظة لأي من الوسائل الخاصة. المطلوب هو استثمار للوقت، والجهد، والتعديل للحصول على رؤية واضحة. هذه هي الرغبة للحصول على فكرة جديدة.

جاء إلي أحد الشباب في إحدى الاحتفالات في ملبورن، في استراليا وقدم إلي نفسه باسم جون بيرتراند John Bertrand وأخبرني كيف فاز بكأس أمريكا لسباق اليخوت من ضمن الفريق الأسترالي سنة 1983. ولم يؤخذ هذا

الكأس على مدى تاريخ 130 سنة من الولايات المتحدة الأمريكية. أخبرني جون كيف تمكن هو ورفاقه من القيام بالتركيز حول نقطة ثم أخرى من أجل الحصول على أفكار جديدة. وكان أكثرها وضوحا يتمثل في تصميم جناحي الزورق. ولأول مرة في التاريخ يؤخذ كأس أمريكا من الولايات المتحدة. ويعتبر هذا مثالا عاديا للرغبة في إيجاد أفكار جديدة، الرغبة في استخدام التفكير الجانبي.

وهناك قصة أخرى جاءتنا من أستراليا أيضا. وقد علم بها صديق لي من منشئ شركة الهواتف الحمراء.

الهواتف الحمراء هي الهواتف التي تستخدم بالدفع وهي تخضع لنظام صيانة عالي المستوى تملكه شركة خاصة اشترته من نظام الاتصالات الأسترالي. تكمن الصعوبة في أن المكالمات المحلية في أستراليا لم تكن مرتبطة بالمدة الزمنية؛ وبالتالي يمكن للشخص أن يتحدث لمدة طويلة بنفس التكلفة الأولية. وعليه فإن المكالمات الطويلة يمكن أن تخفض العائد للشركة، حيث سيتم شغل الخط لمدة طويلة من مستخدم واحد وهذا لا يحدث من إجراء مكالمات عديدة وقصيرة. حيث يعتمد العائد على إجراء مكالمة بغض النظر عن مدتها. وعندي اعتقاد أن المكتشف مر بكتابي الأول عن التفكير الجانبي وأوعز إلى نفسه مهمة القيام بمكالمات قصيرة. مع العلم أن أي طريقة واضحة في تحديد المكالمة أو طلب رسوم إضافية لم يكن منصوصا عليه لأن تلك الأساليب من الممكن أن تقلل من مزايا تلك الشركة مقارنة بهواتف أخرى.

وأخيرا تمكن من إيجاد أسلوب آخر. فقد تم الاتفاق مع مصنعي الهاتف أن يتم وضع كمية كبيرة من المعدن في السماعة. مما يجعلها ثقيلة وتصبح المكالمات الطويلة مرهقة. لقد نجحت الفكرة وحتى هذا اليوم تعتبر الهواتف الحمراء ثقيلة بشكل غير عادي.

obeikandl.com

حتى وإن لم تُستخدم أساليب معينة في التفكير الجانبي، فإن هناك قيمة عالية للتركيز على نقطة معينة من أجل الوصول إلى أفكار وطرق جديدة لعمل الأشياء.

وتظهر هذه الدوافع عند معرفة أن هناك إمكانية لأفكار جديدة ومعرفة القدرة الإبداعية للتفكير الإنساني.

قد لا تكون لديك القدرة لإيجاد أفكارا جديدة في كثير من الأوقات، ولكن على المدى الطويل ستصير عادة التركيز والبحث عن أفكار جديدة قائمة.

أساليب وأدوات

يجد القارئ نفسه بعد قراءة المقطع الرئيس في هذا الكتاب مجهزا ببعض الأدوات الخاصة التي يمكن استخدامها بشكل منظم ومدروس من أجل الوصول إلى أفكار جديدة. وبالطبع، تعتمد المهارة في استخدام تلك الأدوات على التدريب. وكلما زاد استخدام الأدوات، كلما ازدادت مهارة المستخدم. وفي الحقيقة هناك أشخاص أكثر مهارة من غيرهم في استخدام الأدوات. وهكذا هي دوما الطريقة مع المهارات. ورغم ذلك فإن المهارات الإبداعية ذات الدرجة العالية ممكن أن ينالها أي شخص لديه الاستعداد لكسب مثل تلك المهارات.

أود أن أؤكد ثانية أن الأدوات مدروسة ومن الممكن استخدامها بشكل منظم. والأمر ليس متعلقا بالمشاعر والأحاسيس عندما تكون الحالة المزاجية «عالية» فقط. من الممكن استخدام الأدوات بدرجة من التأني كما أنك تضيف قائمة من الأرقام.

لقد أخبرني كثير من المبتكرين على مر السنين من ذوي الكفاءات العالية أنه يمكنهم أن يعتمدوا على موهبتهم الإبداعية في ابتكار أفكار جديدة.

obeikandl.com

ولكن عندما يطمحون إلى أفكار رائعة فإنهم يجدون من الأفضل استخدام بعض الأدوات بشكل منظم بدلا من الاعتماد على موهبتهم الذاتية. وهذه أيضا كانت تجربتي الشخصية. فعندما أستخدم الأساليب بشكل منظم ومدروس أجد نفسي أُفاجأ بفكرة جديدة لم تخطر لي مسبقا. وهذا يعني أن تلك الأدوات ليست قاصرة على الأشخاص العاديين ولكن أيضا مفيدة بالنسبة للمبتكرين من الدرجة العالية. ويجدر بنا أن نضيف أنها تتطلب بعض الالتزام والجهد لاستخدام الأدوات خاصة عندما يكون رأسك مليئا بالأفكار المعقولة.

يتعامل كثير من ممارسي هذا المجال مع الابتكار من منطلق الإلهام والوحي. إذا استطعت أن تتخلص من عاداتك فسوف تكون مبتكرا. إذا تمكنت من استخدام الجانب الأيمن من المخ، وإذا وثقت بحدسك فسوف تصير مبتكرا. وإذا دخلت في حالة ثيتا theta أو حصلت على درجة عالية في الابتكار فسوف تكون مبتكرا. يقع التشديد على الحالات الفكرية المعدلة، التي قد يكون لها من فترة لأخرى تأثير إبداعي، ولكن يمكن أن يحصل التأثير ذاته بشكل أكثر واقعية وتنظيم باستخدام الأدوات المدروسة. وقد تؤدي الحالة الذهنية المعدلة إلى حدوث إثارة ومن الممكن أن تحدث الإثارات من أجل استخدام أدوات التحريض والكلمة «بو» po.

منذ أن قمت باستنباط أدوات التفكير الجانبي الأساسية لسنوات عدة كانت تلك الأدوات منتحلة من مصادر أخرى ومستعارة ومعدلة من دون إذن أو معرفة. وحتى المعاهد ذات السمعة في هذا المجال لم تتعال عن استعارة الأساليب والمواد من غير إعلام المصدر. على سبيل المثال، أصبحت الكلمة «بو» معروفة الآن على نطاق واسع.

إن أحد أهداف هذا الكتاب هو توضيح الأدوات بحيث تظهر قوتها الأساسية وتستبعد العناصر المتجانسة.

وبالتالي فإن قارئ هذا الكتاب لابد أن يصير قادرا على تعلم بعض أساليب التفكير الجانبي. ولابد أن يكون هناك الدافع لممارستها والرغبة لاستخدامها. ما كان معروفا عن بيتر يوبروث هو الدافع القوي (وروح القيادة) الذي لديه. فليس من المهم أن تتعلم الأدوات ثم لا تستخدمها.

إن بعض الأدوات، مثل قبعات التفكير الست Six Thinking Hats صارت تستخدم الآن على نطاق واسع من قبل الشركات الكبرى وقد غيرت بالفعل السلوك التفكيري لتلك الشركات.

أما الجزء الثالث للكتاب يتعلق بعملية التطبيق للتفكير الإبداعي والأوضاع والتركيبات المعتبرة التي تجعل عملية استخدام الأدوات أكثر سهولة.

obeikandl.com